صراع ممالك الزيلع مع نصارى الأحباش
(ممالك الطراز الإسلامي)

اعداد

ا. أمل مصطفي المصدور

المستخلص:

من المعروف إن بوادر ألاتصـــال بين العرب وســـاحل الشـــرقي لإفريقية يعود إلى فترة غائرة في القدم، وعند ظهور الإسلام وانتشاره غذى هذه العلاقات والهجرات إلى تلك الديار.

لعبت الأحداث في بلاد الحجاز وخاصة السياسية منها دوراً في استمرار الهجرات إلى الساحل الشرقي لإفريقيا ،واستوطنوا واستقر بهم الحال ، وما أن حل القرن السابع الهجري حتى أستطاع هؤلاء المهاجرين من تكوين إمارات وممالك إسـلامية في بلاد الزيلع ، عُرفت عند مؤرخين تلك الفترة بممالك الطراز ، فهى على حافة البحر كطراز له ، ولكن محور بحثي عن الدور الريادي لهذه الممالك المتمثل في الجهاد ضـــد نصـــارى الأحباش ، والمحافظة على نشر الدين الإسلامي والصراع من أجل البقاء والمحافظة على الوجود الإسلامي في تلك البقعة من الأرض.

كلمات مفتاحية : بلاد الزيلع ، نصارى الأحباش ، ممالك الطراز ، جهاد المسلمين .

المقدمة:

قبل الحديث عن تكون ممالك الزيلع ودورها في نشر الإسلام والحفاظ على الهوية العربية في تلك النواحي ، لابد من العودة قليلاً لمعرفة أصل تسميه الزيلع ، وموقعها الجغرافي لتلك ممالك !

في حقيقة الأمر أن اسم الزيلع ورد في كثير من المصادر، ولكن اختلفوا في إطلاقها فالبعض ، فمنهم من أطلقها على ميناء ، في حين البعض الآخر أطلقها على مدينة ، وحيناً آخر تطلق على إقليم يشمل العديد من الممالك ، ولكم أصل التسمية يعود إلى خرز تلبسه النساء ، حيث ترسب وتكون ذاك الودع وتركز في المياه المحيطة بها (محمد الخويلدي ، 2019م ص،19) .

الموقع الجغرافي لبلاد الزيلع :

وردت الزيلع عند كبار المؤرخين وإن اختلفوا في تحديد موقعها .

فالإدريسي(ت ،560هـ) قال " ومدينة زالغ على ساحل البحر الملح المتصل بالقلزم وقعر هذا البحر أقاصير متصلة إلى باب المندب ..... ومدينة زالغ صغيرة القطر كثيرة الناس والمسافرون إليها كثير "(الإدريسي ، 2002م ص 1 /44)

وأشار ابن سعيد (ت،685هـ) " إن الزيلع من مدن الحبشة المشهورة ، وأهلها مسلمون يكثرون الحج والتردد على ساحل عدن و زبيد وهي محل حط وإقلاع " (ابن سعيد المغربي ،1970م ، ص 116) .

وتطرق إليها أبو الفداء (ت ،732هـــ) " وللحبشة مدن كثيرة وبلادهم تتصل بالخليج البربري وليس ببر الحبشة من النخيل، وبيت عدن وزيلع ثلثه مجارٍ(أبو الفداء ،1830م ،ص153) . ولكن الذي أسهب في توضيح موقعها هو القلقشندي (ت ،821م) " وبلاد الزيلع هي البلاد المقابلة لبر اليمن على أعالي بحر القلزم (البحر الأحمر) وما يتصـــل به (المحيط الهندي) ويعبر عنها بالطراز الإســـلامي ، والزيلع إنما قرية من قُراها ، وجزيرة من جزائرها ، غلب عليها أسـمها ، قال الشـيخ عبدالمؤمن الزيلعي الفقيه : طولها براً وبحراً خاصـاً نحو شـــهرين ، وعرضـــها يمتد أكثر من ذلك ،أما مقدار العمارة فهو ثلاثة وأربعون يوماً طولاً، وأربعون يوماً عرضاً ،..... وهي بلاد شديدة الحر، وألوان أهلها إلى الصفاء " (القلقشندي ،1922،351/5) .

يتضح من خلال النصوص السابقة لموقع المدينة فقد أسهم في شهرتها ميناء أفاليتس القديم، وقد كانت على ذلك العهد أحد المعاقل والمنافذ الهامة في تلك الحقبة .

لكن يتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات وهى من هم مؤسسو هذه المدينة، وكيف عُرفت فيما بعد باسم ممالك الطراز ؟!

يُذكر إن العمانيون أول شعب يقيم مستوطنات له على الساحل الشرقي لإفريقية ، فبعد انتفاضتهم على حكم الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان هاجر جماعة منهم بقيادة سليمان وسعيد ابني الجلندي إلى شرق إفريقية بعد هزيمتهم من جيش الخليفة الذي أرسله إلى عمان ، فاضطروا إلى الفرار والهجرة سنة (65هـ/684م) إلى بلاد الزنج (محمد النقيرة ،د.ت، ص85)، وليس معروفاً بصفة أكيدة مكان استيطانهم في المهجر الذي ذهبوا إليه في إفريقية ، ولكن المعروف أنهم أقاموا في جزيرة باتي شمالي كينيا ، والموجة الثانية من العرب المهاجرين إلى شرق إفريقية حدثت إثر نزاع قام بين طوائف الشيعة الذين انقسموا إلى مجموعتين متعاديتين ، وكان يقود إحدى هاتين الطائفتين زيد بن علي بن أبي طالب ، وقد هُزم زيد وذبح على أيدي أنصار الخليفة الأموي هشام

بن عبدالملك (71،125هـ) ، واضطر أنصاره للنجاة بأرواحهم فذهبوا إلى شرقي إفريقية حيث استوطنوا في الصومال ، ومارس الزيديون السلطة على ساحل بنادير طوال ألفي عام ، ومع نهاية القرن الرابع الهجري هاجمتهم مجموعة أخرى من المهاجرين قدمت من الإحساء (أحمد المعمري ،1979م، ص66) ، فقد أبحر سبعة أخوة من الإحساء في سبع سفن وتوجهوا إلى ساحل بنادير حيث أسسوا مدينتي مدغشقر وبراوا ، ورفض الزيديون الاعتراف بسلطة القادمين الجدد ، وتراجعوا إلى الداخل حيث تزاوجوا مع السكان الأصليين ، والأخوة السبعة هم أبناء حاكم شيراز ، حيث قرر حسن بن علي وأخوته وعدد من أنصاره مغادرة شيراز لأسباب غير معلومة ،سنه (365هـ/975م) حيث توقفت ثلاث سفن في أماكن متفرقة ، واستوطنوا على طول الساحل الشرقي لإفريقية ، إما السفينة الرابعة فقد استوطنت مماسة والخامسة في بيمنا ، والخامسة فقد رست في جوهانا في الكومور ،والسادسة وهي التي تقل حسن نفسه في كيلوا ، وفي كيلوا وجد حسن التي تذكر بعض المصادر انه حاكم شيراز نفسه أو ابنه الأكبر ، أن العرب يستوطنوها بالفعل فبدأ في إجراء مفاوضات مع (لورد أو كيلوا) وهو رئيس قبلي إفريقي واشترى منه حسن الجزيرة واستطاع حسن وأتباعه أن يعيشوا في أمان من أي هجمات ، ومن هنا ظهرت قبائل زيلع السبع وبدأت المساجد تخطب بأسمائهم يوم الجمعة (العمري ، ص45).

قيام الممالك الإسلامية في بلاد الزيلع:

كما أوضحت أن هجرات العرب لعبت دوراً هاماً في تكوين جماعات إسلامية في داخل أقاليم الحبشة ، ونمت كلّ جماعة مستقلة عن الأخرى ، وبعد مرور الزمن أصبحت تلك الجماعات ممالك وسلطنات إسلامية ، وكان أولها مملكة شوا الإسلامية التي أنشاها نفر من بني مخزوم سنة (283هـ) ، وكانت عاصمتها (والالاه)، قد استمرت أربعة قرون ، ولكن أنفرط عقدها بسبب الحروب الداخلية ، وتدل الحفريات التي اكُتشفت على بقايا ثلاث مدن إسلامية في قلب مملكة شوا ، ومسجد ضخم مازال بحالة جيدة ، إما المخطوطات التي نشرها المستشرق الإيطالي شيرولي هي التي كشفت الغطاء عن تلك المملكة التي خلت المصادر العربية من ذكرها (عطية مخزوم ،1998م، ص161)

1. مملكة إيفات الإسلامية: نشأت هذه المملكة في أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ،على أيدي أسرة عربية هاشمية تسمى (أسرة لشمع) نسبة إلى مؤسسها عمر لشمع القرشي ، من بني عبد الدار ، وقد حكمت هذه الأسرة قرابة مائتي عام ، فكان أول سلاطينها (**عمرو إلى أسمع ،669ـ684هـ**) وكان

آخرهم الأمير فخر الدين والذي به يكون الأمير السابع والعشرين من حكام هذه المملكة ، وتطلق إيفات على عاصمتها (جبرة أو جبرته ، جبرتا) وهي كلمة حبشية تعني (عباد الله) وغليها ينسب المؤرخ جبرتي ، وأول من أشار إلى تلك المملكة من المؤرخين العرب هو ابن سعيد غذ قال " ومن زيلع إليها(وفات) نحو عشرين مرحلة وعمارة وفات متفرقة ، دار الملك على تل ، والقاعة على تل ، وهى بعيدة عن البحر جداً ، وهى من جهة الغرب عن زيلع وهى أقرب أخواتها إلى الديار المصرية (القلقشندي ،325/5) ويتضح من المصادر إن ملك إيفات يحكم بلاد الزيلع ، وكانوا على المذهب الشافعي ، وكان يطلق على الملك لقب (فاط) ، كما تبرز المصادر إن الحكم في هذه المملكة كان سجالاً بين السيادة وبين الحكم الذاتي تحت سلطان ملك الحبشة المسيحي ، فقد حاول ملوك إفات الاستقلال بها والتمرد على سلطان الملك الحبشي ، وخلع طاعته بسبب تحرشاتهم بالمسلمين ، وكان أول المتمردين علىِ ظلم الأحباش علي بن صبر الدين حفيد عمرولشمع الذي خلع طاعة (حطي) ملك الحبشة ، ولكن استطاع (حطي)خلعه وتعين ابنه أحمد بعدما غدر وخذله البدو ، ولكن أشهر ملوك إفات هو حق الدين الثاني بن أحمد (766،776هـ) ، فهذا الملك قد استبد بالأمر وحارب ملك الحبشة وأسر الكثير من عساكره وغنم منهم مالاً كثيراً ، وهزم جيوش ملك الحبشة(سيف أرعد) فقد قوي أمره وجمع الناس حوله ، واتسم هذا الملك بالصلاح وحبه للعلم، وظل حق الدين يحارب (الحطي) سيف أرعد حتى مات سيف أرعد سنة 774هـ، وتولى ابنه داود الحكم ، فلم يتوانى حق الدين على الاستمرار في محاربته حتى وصلت المعارك بينهم إلى بضع وعشرون وقعة خلال تسع سنين (محمد النقيرة ، ص207).

2. مملكة دَوَارو :. وتقع جنوب شوه ، وتلي أفات ، وقال عنها صاحب صبح الأعشى " مملكتها طولها خمسة أيام وعرضها يومان "(القلقشندي ،326/5) وكانت من أقوى تلك الممالك الإسلامية ، وبالرغم من ضيقها فهي ذات عسكر جم نظير عسكر وفات في الراجل والفارس ، وأهلها على المذهب الحنفي .

3. مملكة ارابيني :. وهذه المملكة تلي مملكة دَوَارو ، وهى مربعة الشكل ، وعرضها وطولها مسيرة أربعة أيام كاملة ، وأهلها على المذهب الحنفي ، ويناهز عسكرها عشرة الآف فارس .

4. مملكة هَدْيةُ :. تقع جنوب وفات ،ويعتبر صاحبها أقوى إخوانه من ملوك هذه الممالك السبعة ، وتميز بشدة البأس على الرغم من ضيق بلاده مقارنه بمساحة أوفات ، وأكثر خيلاً ورجالاً، ويبلغ جنودها نحو أربعين ألف فارس ، عدى الرجالة يفوق الفرسان مرتين أو أكثر ويورد صاحب صبح الأعشى ، قصة الخدام الذين

يجلبوا من بلاد الكفار ويتعرضون للخصي ، قصة تقشعر منها الأبدان ، فقال (إن التجار إذا اشتروا العبيد يخرجون بهم إلى وشلو فيخصونهم بها لآجل زيادة في ثمنهم، ثم يحمل من خُصي منهم إلى مدينة هَدْيةُ لقربها من وشلو فتعاد عليهم الموس مرة ثانية ليفتح مجرى البول ، لأنه يكون قد سُد عند الخصي بالقيح ، فيعالجون بهدية إلى أن يبرءوا ، ولان أهل وشلو وإن كان لهم معرفة بالخصي ، فليس لهم معرفة بالعلاج ، بخلاف أهل هدية فإنهم قد درّبوا على ذلك وعرفوه ،ثم قال :فالذي يموت منهم أكثر من الذي يعيش ، وأضر ما عليهم حملهم بلا معالجة من مكان إلى مكان ، فإنهم لو عُولجوا في مكان خصيهم كان أرفق بهم(القلقشندي ،328/5).

5. مملكة شرخا :. وهي تلي هدية ، وطول مملكتها مسيرة أربع أيام ، ويبلغ عسكرها نحو ثلاثة الآف فارس، وأهلها مسلمون أحناف

6. مملكة بالي :. وهى تلي شرخا ، ويرجح إنها تعود إلى قبيلة بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وهى القبيلة العربية التي أسقطت ملك النوبة ، وكان البليون جسر الصلة بين العرب والأفارقة في شرق القارة والحبشة واريتريا، ، ويغلب على سكانها عنصر السيداما (وهي قبيلة حامية وغوارجية وهي من أصول عربية)أما الجنوب فيستوطن قبائل من الجالا، وهذه المملكة لم يكن الحكم فيها متوارث كما هو الحال بقية ممالك الطراز ، بل يعتلي العرش رجل بمساعدة ملك الحبشة .

7. مملكة دارة :. ويأتي ترتيبها السابع حسب ما صنفها العمري في كتابه ، وهى أضعف أخواتها حالاً وأقلها خيلاً ورجالاً .

هذه الممالك التي أطلق عليها المقريزي ممالك الطراز ، في حين يضيف بعض المؤرخين ممالك أخرى تفوق هذه الممالك السبعة فيضيف إليه سلطنة عدل ، وسلطنة شوا ، وقد امتدت هذه الممالك من ميناء مصوع شمالاً إلى إقليم أوجاين جنوباً ، ومن رأس غوردفواى شرقاً إلى أطراف الهضبة الحبشية غرباً ، وأهم عناصر التي كونت هذه الممالك البجة ، والأعفار(الدناكل) والصوماليون ، والجالا ، والعرب .

صراع مسلمي الزيلع مع نصارى الأحباش :

من خلال الاستقراء للنصوص التاريخية ، فإن العلاقات بين مسلمي ممالك الطراز أو الزيلع ونصارى الأحباش ، بين مد وجزر ن وبين الطاعة والعصيان مع السلطان الأكبر " الحطي " ، ولمعرفة جذور تلك

العلاقات لابد من لمحة تاريخية عن جذور ذاك الاحتكاك بين هذه الممالك ومعرفة المذاهب والعوامل التي تغذي تلك العلاقات بين الود والنفور مع نصارى الأحباش .

لقد كانت الحبشة المسيحية على صلة بالإمبراطورية المسيحية البيزنطية التي تعد نفسها حامية الديار لكل المسحيين، لذا كلفت دولة الحبشة أن تثار لمسيحي نجران من ذي نواس اليهودي أمير اليمن الذي أبادهم ، إلا إن المعركة زادت عنفاً عند دخول الإسلام إلى الحبشة ، فكانت الإمبراطورية البيزنطية في صراع رهيب للقضاء على الإسلام والمسلمين ، وزاد من حدة الغضب عندما استطاع الخليفة عمر بن الخطاب (23.13هـ) من الانتصار عليها في بلاد الشام ، واستنجدت بيزنطة بحكومة الحبشة وحرضتها على ضرب بلاد الحجاز ، فسلب الأحباش متاجر المسلمين في البحر الأحمر ، فما كان من الخليفة عمر بن الخطاب إلا إرسال حملة بحرية لتأديبهم بقيادة علقمة بن مجزر المدلجي ، لكنها لم تُوفق(ابن الأثير ،1986م،398/2) أما في عهد عبدالملك بن مروان (65، 86هـ) فقد حرضت بيزنطة الأحباش حليفتها على مهاجمة بلاد الحجاز وأن تستولي على الحرمين ، فقام الأحباش بالهجوم على ميناء حدة واستباحوا المنطقة سنة83هـ ، فما كان من الخليفة عبدالملك إلا إرسال حملة تأديبه وأحتل أرخبيل ودهلك المواجهة لمصوع ، إلا إن ذلك لم يكف أذى الأحباش عن ميناء جدة الذي تعرض لعدة هجمات منها عام 153هـ، مما أضطر الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور من إرسال جيشاً لتفريق شملهم في نفس العام .

أما دولة الحبشة عندما قويت شوكتها بترقية نظامها السياسي والحربي والاهتمام بمواردها الاقتصادية ، ركزت على اضطهاد المسلمين في بلاد الحبشة ، وخاصة بعد زيادة أعداد المسلمين وقيام الإمارات الإسلامية كإمارة شوا في قلب الهضبة ، وأجبرتهم على دفع الإتاوات مما دفع بدر الجمالي وزير المستنصر بالله الفاطمي (427 .487هـ)إن يتدخل في اختيار أسقف معين بالحبشة ،وأشترط عليه حماية المسلمين وجعلهم يمارسون شعائرهم الدينية وبناء مساجدهم ، وهذا الأمر لم تتقبله مملكة الحبشة النصرانية المتأثرة بالنزعة الصليبية فأمر الملك الحبشي بسجن الأسقف وهدم المساجد السبعة التي بناها ، وفرض عدة قيود على التجار المسلمين ، ودف الإتاوة ، فأصبح خوض غمار الجهاد بالنسبة إلى المسلمين في شرق إفريقية ضرورة فرضتها الظروف للبقاء والدفاع عن النفس والعقيدة (نوال الصيرفي ،1987م، ص66) وتحولت السمة الغالبة للمعارك إلى جهاد لرفع راية الإسلام وألتحم فيها كافة الشعب مع الملوك وعلى رأسهم الفقهاء والعلماء والأئمة ، وقادت حركة الجهاد في بداية الأمر مملكة أُفات بقيادة بني ولشمع كما سبق وإن ذكرت ، وكانت تلتحم معها بقية الممالك

وقادة لواء الجهاد حتى بداية القرن التاسع الهجري ، وبعدها أنتقل هذا الدور إلى عدل بقيادة أمراء بني ولشمع أيضا الذين نقلوا مقر حكمهم إلى عدل ، بعدما حل الدمار في مملكة أُفات على يد النجاشي إسحاق عام 817هـ.

استمر دور عدل إلى بداية القرن العاشر الهجري ، إما الجهاد الحقيقي والأعظم بداء على يد المجاهد الكبير أحمد بن إبراهيم ، أمير هرر عندما أفل نجم أُفات ، فقد دب النزاع بين أفراد البيت الحاكم وانتهى هذا النزاع باعتلاء " حق الدين الثاني " للعرش سنة 766هـ، بعدما استقر له المُلك بالقضاء على عمه (ملا اصفح) ، الذي كان يستنجد بالنجاشي سيف أرعد (745،775هـ) للقضاء على ابن أخيه حق الدين ، إما حق الدين فقد كانت أهم أعماله ، إنشاء عاصمة جديدة أسمها (وصل) وإعلان استقلاله عن مملكة الحبشة ، وأعد عدته لخوض معارك ضد مملكة الحبشة بقيادة ملكها سيف أرعد، فكانت معارك ضارية على مدى تسع سنين خاض فيها العديد من المعارك ، والتي كان النصر فيها حليف مسامي الزيلع .

يذكر المقريزي أن ملك الحبشة:" خرج بعساكره ليقتل الزيلع عن آخرهم " وبعد وفاة سيف أرعد اعتلى العرش ابنه ودم أرعد (775،784هـ) فدخل مع حق الدين في معركة قوية على أرض شوا سنة 776هـ ، هُزم فيها حق الدين واستشهد في تلك المعركة وضاعت جثته بين الجثث ، وتصف المصادر بأن حق الدين كان شجاعاً مقداما قوي النفس عجولاً مهاباً ، وحكم مدة عشر سنوات(المقريزي،1987م،13) وبعد وفاته انتقل الحكم إلى سعد الدين أبو البركات محمد بن علي بن صبر الدين ولشمع (776. 805هـ) .

لقد كانت فترة حكم سعد الدين صفحة مشرقة في تاريخ الممالك الإسلامية، حيث قادة مسيرة الجهاد بنفسه لمدة ثلاثين عاماً واستقرت مملكته، واتسعت فتوحاته على حساب الدويلات المجاورة، وكانت الانتصارات حليفته ، وكثرت الغنائم حتى وصلت حصته أربعين ألف بقرة ، فرقها كلها على الفقراء والجنود ، بل قيل من كرمه أنه لم يجد ما يسد به رمقه (المقريزي،ص13)

وفي عام 805هـ أرسل داود أحد قادته ويدعى باروا للقضاء على سعد الدين ، فخرج سعد الدين بجموع المسلمين وقد تحالفوا على الموت في سبيل الله ، ويصف المقريزي هذه المعركة بقوله :" فكانت بينهما وقعة شنيعة استشهد فيها من المشائخ الصلحاء أربعمائة شيخ ، فاستمر القتل في المسلمين حتى هلك أكثرهم وأنكسر من بقى (نوال الصيرفي ،ص68) وقد كانت نهاية هذه المعركة باستشهاد سعد الدين الذي انهالوا عليه بالطعنات ، وهو يتشهد ، وهكذا دخل الأحباش إلى أوفات وخربوها وهدموا مساجدها ، وأنشئوا بلا منها الكنائس ، فما

كان من أولاد سعدالدين إلا اللجوء إلى ملك اليمن ، فكان خير عوننا لهم فقد مدهم بالجنود والخيول والعتاد الحربي ، ليخوض جولة أخرى ضد ملوك الحبشة ، لكن استقروا في عدل وتلقبوا بأمراء عدل، بقيادة أخيهم الأكبر صبر الدين علي الثاني ، وجمعوا عساكر والدهم لمهاجمة الأحباش في دكار ، وتمكنوا من منازلتهم وأسترادوا المنطقة ، واتخذوها عاصمة لهم ، وغنم منها الكثير من الغنائم واحرق صبر الدين الكثير من الكنائس.

بلغت هذه الانتصارات إلى كافة الأحباش وبثت فيهم الرعب ، مما حملهم على إعلان النفير ضد مسلمي الزيلع ، فجمعوا عشرة أمراء بقيادة (بخت بقل) تحت سلطان إسحاق ، وتمكن هذا الجيش الجرار من هزيمة صبر الدين وعاثوا في البلاد والعباد الفساد لعام من الزمن، لكن هذه الهزائم لم تفتر من عزائم الرجال لمواصلة الجهاد والثأر ، فقد استطاع صبر الدين من تجميع قواته وكون جيشاً قوياً بقيادة أخيه محمد ، وبمساعدة القائد حرب جوش وهو احد قادة الأمراء النجاشي وقد اعتنق الإسلام على عهد سعد الدين ، ودارت معركة حامية الوطيس ، وقتل فيها اغلب أمراء الملك الحبشي ، أما القائد الحبشي بخت بقل قُتل على يد صبر الدين ، واستمر صبرالدين في قيادة المسلمين ، ورفه رأيه الجهاد حتى توفاه الله سنة (825هـ)، بعد مسيرة جهاد ضد نصارى الأحباش دامت ثمان سنوات، وبعد وفاته تولى الحكم أخوه منصور سعدالدين (825،828هـ) الذي استمر على منوال ملوك المسلمين في الجهاد ، فخاض أول معركة بمساندة أخيه محمد في جداية ، وانتصر الأخوان في هذه المعركة ، وحاصروا الأحباش في أحد الجبال التي التجوا إليها خوفاً من المسلمين ، فقد خيرهم الأمير منصور بين الإسلام أو اللحاق بقومهم ، فأسلم منهم عشرة الآف من ثلاثين ألفا، ولكم ملك الحبشة إسحاق جرد جيشاً كجراد ، وقاتل الأخوان اللذان لم يحالفهما الحظ ، ووقعا أسيران لدى ملك الحبشة ، وظلا في السجن حتى وفاتهم (نوال الصيرفي ،ص70) .

وبعد وفاته فتحت صفحة جديدة من مراحل الجهاد ضد الأحباش يقودها أخوهما جمال الدين(828،835هـ) دامت سبع سنوات من الجهاد ، وبث الرعب في قلوب الأحباش طيلة فترة حكمه ، ولكن قتل بيد الغدر على يد ابن عمه ، وتذكر المصادر إنه كان من خير الملوك ديناً ، ومعرفة وقوة وشجاعة ، ومهابة وجهاداً ، وبفضله انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً بين ألأحباش ، وكثرت عساكره واتسعت مملكته .

بعد وفاته تولى الحكم أخوه شهاب الدين (835،847هـ) فكانت أول أعماله القصاص من قاتل أخيه ، وسار على نهج سلفه في الجهاد ، فأسترد إمارة بالي ورد المسلمين إلى بيوتهم الذين أجبروا على مغادرتها، كما قام بهد الكنائس التي بناها الأحباش ، ولكن من سؤ حظه انتشر وباء الموت الأسود (الطاعون) مما

أنهك قوى المسلمين ، فأستطاع الملك الحبشي (زرع يعقوب) من مهاجمة مملكة عدل ، وقتل الملك شهاب الدين ، واستلم قيادة المعركة أخوه خير الدين الذي كان من نصيبه قطع رأسه وحُمل إلى السلطان زرع يعقوب الذي طلب بتقطيع جثة شهاب الدين وأخوه خير الدين ، وتعليقها في أنحاء الحبشة ابتهاجاً بانتصارهم على المسلمين ، ووزع الغنائم على الكنائس ، وبذلك تكون انتهت فترة حكم ذاك السلطان الذي اشتهر بالعدل ومحاربة الفساد وامتنع الناس عن الظلم ، كما رخص الأسعار على أيامه (**المقريزي ،ص20**)

واعتلى حكم عدل السلطان محمد بن شهاب الدين بعد استشهاد أبيه ، أما ملك الأحباش فقد وسَع رقعة مملكته على حساب الممالك الإسلامية فقد استولى على أوفات ،وبالي ،ودوارو ،وهدية ، وضعف أمر المسلمين حتى أنه وصل الأمر إلى دفع الجزية السنوية إلى ملك الحبشة بئيدا ماريام بعد وفاة زرع يعقوب ، بل طلبوا الهدنة من الملك الحبشي ، الذي استغل الموقف ، وتفرغ لحرب قبيلة الدبعة الداخلة في الإسلام حديثاً ، وبعد وفاة السلطان محمد بن شهاب الدين تولى الحكم ابنه شمس الدين ، الذي أعلن الجهاد ضد نصارى الأحباش ، وانتصر انتصاراً باهراً بعدما اندلعت نار الحرب مرة أخرى على طول الحدود الشرقية ، وفي عام 894هـ انتقل الحكم إلى السلطان محمد بن آزر بن أبي بكر بن سعد الدين الذي دام حكمه ثلاثين عاماً ، ومن ثم أنتقل الجهاد إلى أمراء هرر التي تعتبر في التاريخ مرحلة الجهاد العظيم الذي تمخض عن فتح مملكة الحبشة، ونشر الدين الإسلامي داخل الهضبة الحبشية معقل النصرانية .

الخاتمة:

لقد وصلت للخاتمة، وتلك السطور في نظري لم تفي ممالك الطراز حقها في الأنصاف، تلك البذرة التي جاءت من الشرق ، واستقرت على الضفة الغربية من بلاد الحجاز ، حاولت في هذه الدراسة تسليط الضوء على الدور الريادي لمسلمي الزيلع في نشر الإسلام ومحاربة نصارى الأحباش ، والمراحل التي مرت بها تلك الممالك من جهاد وحروب ، وما عانت من تأرجح بين القوة والضعف ، فتارة يخر قواها وتستسلم وتدفع الجزية، وتارة أخرى تستجمع قواها ونفوذها وتعلن الجهاد والاستقلال .

تلك الممالك كانت تسمى بممالك الطراز، وأنا أطلق عليها شعلة في وسط الظلام، ظلام الجهل والكفر، فكانت تلك الممالك تُشع بنورها في غياهب الظلام الحالك، وقامت وترعرعت، ونورت أرض السواد بنورها، فنشرت الإسلام وحولتهم إلى أُناس ذو أخلاق وصفات حسنة يتمتعون بمكارم الخلاق، تلك الممالك التي واقعها يُشابه ممالك المسلمين في الأندلس تصارع من أجل البقاء، بعدما كانت منارات لبث العلم والأمان ودين الحق،

فرحم الله كُل من حمل لواء الجهاد في تلك الممالك شرقاً وغرباً، وآخر سقوط تلك الممالك قروناً من الزمن.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى.
- كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري (القاهرة ،1970م)
- ابن كثير عماد الدين (ت774هـ)
- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف (بيروت ،1990م.
- ابن الوردي ، سراج الدين أبو حفص .
- فريدة العجائب وفريدة الغرائب (القاهرة ،د.ت)
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هـ)
- تقويم البلدان ، دار صادر (بيروت ،1830م)
- الإدريسي ، أبي عبدالله محمد المعروف بالشريف الإدريسي
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ،2002م)
- الدمشقي ، شمس الدين أبي عبدالله الأنصاري .
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (د.م/ د.ت)
- شهاب الدين أحمد (عرب فقيه) (ت ، ق10هـ/16م)
- فتوح الحبشة ، تحقيق محمد فهيم شلتوت (القاهرة ،1974م)
- العمري، ابن فضل الله شهاب الدين (ت749هـ)
- مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، تحقيق كامل الجبوري ، دار الكتب العربية (بيروت ،2010م)
- القلقشندي ،أبو العباس أحمد بن علي (ت821 هـ)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، (القاهرة ،1384هـ)
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت 845هـ)
- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ،(القاهرة ،1895م)
- السلوك لمعرفة دول الملوك ،تحقيق سعيد عاشور (القاهرة ،1973م)
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله الرومي البغدادي
- معجم البلدان ، دار صادر (بيروت ،1977م)

ثانياً المراجع:

- أحمد ، عبدالله خضر. أثر الهجرة في تكوين الإمارات الإسلامية في إفريقيا الحبشة نموذجاً ، مجلة القراءات الأفريقية ، العدد التاسع عشر (مارس ،2014م)
- بهرو ، فضيلة .ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة . رسالة ماجستير ، جامعة أحمد دراية (الجزائر ، 2019م)
- الجمل ، شوقي عطاالله . إبراهيم ، عبدالله عبدالرازق . تاريخ المسلمون في إفريقيا ومشكلاتهم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة ،1996م)

- جميل ، بشار أكرم . ممالك المسلمين في الحبشة من خلال كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لأبن فضل العمري ، آداب الرافدين ، العدد56(2008م)
- الحويري ، محمود محمد . ساحل شرق إفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي ، دار المعارف (القاهرة ،1986م)
- الخويلدي ، محمد علي عمر التأثير الحضاري العربي الإسلامي في شرق إفريقيا (د،م/ 2019م)
- رياض ، زاهر . تاريخ أثيوبيا ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة ،1966م)
- الصيرفي ، نوال حمزة . الجهاد الإسلامي في شرق إفريقية ، جامعة أم القرى (مكة المكرمة ،1987م)
- الفيتوري ، عطية مخزوم . دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام) منشورات جامعة قاريونس (بنغازي ،1998م)
- قاسم ، جمال زكريا . الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، دار الفكر العربي (القاهرة ،1996م)
- القرقوطي ، معمر الهادي العلاقات التجارية بين مدينتي عدن وزيلع في العصر الإسلامي ، ندوة عدن بوابة اليمن الحضارية (ليبيا ،د.ت)
- المعمري ، أحمد حمود . عمان وشرقي إفريقية ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، وزارة التراث القومي والثقافة (سلطنة عمان ، 1979م)
- النقيرة ، محمد عبدالله . انتشار الإسلام في شرق أفريقية ومناهضة الغرب له ، دار المريخ للنشر (الرياض ،د.ت)

The conflict of the kingdoms of AL-Zayla ,with the Christians of AL- Ahbash (lslamic style kingdoms

Amal Mustafa AL-Masdour

Department of History - Benghazi university

Abstract :

lt is known that the signs of contact between the Arabs and the eastern coast of Africa date back to an ancient period .And when lslam emerged and spread , it nourished these relations and migrations to those lands .

The events in the country of Hijaz , especially the political Ones, played a role in the continuation of the migrations to the eastern coast of Africa , and they settled and settled in them ,And as soon as the seventh century AH arrived , these immigrants from the formation of lslamic emirates and kingdoms in the country of AL-Zila,a laws known to historians of the kingdoms of the style ,as they are on the edge of the sea as a model, but the focus of my research is on the pioneering role of these kingdoms represented in the jihad against the Abyssinian Christians, and the preservation of the lslamic religion ,and the struggle for survival and preservation of the lslamic presence in that part of the earth .